وردز ورث و مقصدية الخطاب السيّابي

الاستاذ الدكتور ظاهر لطيف كريم* الاستاذ الدكتور نيان نوشيروان فؤاد*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٥/٢/١٢

خلاصة البحث:
إن هذه الدراسة هي محاولة لإيجاد علائق المقصديات في الخطاب السيابي إتجاه الشاعر الأنكليزي المعروف (Words worth)الذي يمثل تياراكبيرا من التيارات الأدبية "الرومانسية" .والهدف من ذلك بيان إعجاب و تأثر السياب به ثم إنفصاله عنه إنفصالاً شعريا بصورة تدريجية .وهذا يتبين من خلال عنونة المقصديات وصولاإلى مقياس قوة المقصدية التي هي ناتجة عن فعل المسافة المنطقية و الدرجة المنطقية و هناك تتضح مسافة التوتر في سلم المألوف و اللامألوف .

أن البنية الأساسية للنص والناشئة من مجموعة دوائر جزئية تجعل منه دالا واسعا يتميز بنسب متفاوتة من التواصل و الإنفصال طبقا لأنواع العلاقات المقطعية والخرقية والتوترية (٢ :١٦).أي أن الخطاب المستعمل دائما لا يعنى كثيرا بخلق توازنات منتظمة (٤:٨٨)لأن المنتج ليس نظاما مستقلا واحداً في العملية الإنتاجية .بل يشاركه المنتج الآخر والمتلقي والذي يمكن أن نسميه بالمولد (Generator)والحالة النهائية له هي"بناء العامل الذي يتكلم والعامل الذي يسمع " (٥:٣٠).وخلاصته خلق التواصل بين الكل والجزء و تحويل الجزء إلى الكل أو البنية السطحية الى البنية العميقة ويمكن ان نسميه بمفهوم التطور و التتالي الضروريين حيث يأتي غالبا بفعل إعادة الإنتاج و احتماليات الصراع والفوز. وعلى الرغم من ذلك فإن طبيعة الأشياء وقوتها توجبان أن التفرد هو أساس المشابهة وأن المتفرد ليس إلامتغيراً صغيرا له علاقة بالنص الأصيل فهو مشابه ولكنه متفرد (٥:٤٣)

إن تعددية المعنى وتعددية المقصديات لا تضعفان العمل الأدبي و أن المتلقي أو الناقد يشتركان في إعطاء الأبعاد الإبداعية لكي يتحول النص من خطاب محدود (علمي) إلى اللامحدود (أدبي).بمعنى أن رؤية المنتج وإن توفرت شروط الذكاء الإصطناعي والمنطقي فيه تختلف أحيانا عن رؤية منتج آخر أوالمتلقي و خاصة النموذجي وأن المنتج الأول هو قدر في يد المنتج الثاني والمتلقي و بإمكانهما التجاوز عنه تبعاً لصناعتهما الثقافية و المعرفية مع المحيط و النص و رفضهما للخطابات المتسلطة التي تفرض نفسها على الآخرين .ومن هنا يستطيع هذا المنتج الجديد و المتلقي أن يشكل الفعل الكلامي ومن ثم أعادة الإنتاج للمنتج الأول على الرغم من قوته وإبداعاته .كل هذا يؤكد أن المقصدية تشكل عنصرا بارزا و مهيمنا في الإنتاج الأدبي لأنها تحرك المنتج بصورة واعية ولا واعية لإنتاج النص و تثبيت فكرة أو حالة وتوكيدها إذ هي من عناصر الربط بين المنتج الأول والثاني والمتلقي، أي أنه من الضروري هنا إيجاد روابط الإتصال بين المرسل والمرسل اليه وهي روابط نفسية، مذهبية وحضاريةو ثقافيةو تاريخية..... بمعنى أن البنية الإيحائية هي المؤسسة التى تشكل سلسلة من العلاقات المتتالية المتزامنة. هذا وكما أشار تودوروف لا يجب الاستهانة بأهمية المعنى الإيحائي في الدلالة الشاملة للمنطوق وأحيانا يكون الإيحاء وحده مهما حتى لو تناقض مع المظهر المرجعي للرسالة أي التعلقات الفردية. (١ :٢٧)

فالمقصدية إذن ليست واحدة بل هناك أقطاب تشترك في صنعها كما نجد في مثل هذه الأنواع من المقصديات التي تربط بين (Words worthوالسياب :

ـ مقصدية التثبيت+المماثلة و المشابهة +المحاكاة =الإعجاب

أي أن السياب يريد أن يثبت تأثره و إعجابه والسير على طريقة Words worth

ـ مقصدية التثبيت +المماثلة و المشابهة-المحاكاة =التفرد

أي أن السياب يريد أن يعلن تأثره و إعجابه بـ (Words worth) إلا انه في الوقت نفسه يحاول أن يوازي (Words worth)في الشعرية وهي ما يسمى أيضا بمقصدية تغير الرأي (٤:٨٦)

ومن خلال الخطاب الشعري للسياب (١٩٢٦ـــ١٩٦٤)وهو خمس قصائد(٣: ٢٠٩) مهداة إلى روح (Words worth)

ضمن مجموعة" قيثارة الريح" هي :

١.ذبول أزاهر الدفلى
٢.العش المهجور
٣.جدول جف ماؤه
٤.أمير شط العرب
٥.مجرى نضير الضفتين

التي تشكل بمجموعها عناصر الجذب الأستقطابي من خلال عنونة المقصديات التي تمثل مؤشراً لحالة التدرج المقصدي،و يمكن إثبات ذلك من خلال البرهنة التطبيقية وصولا إلى الاستنتاجات معتمدا على المخطط الآتي :

* كلية اللغات - جامعة السليمانية.

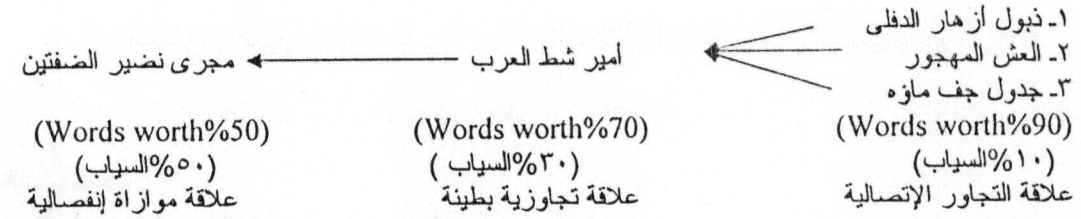

شكلا و مضمونا:

بمعنى أن السياب في قصائده الثلاث الأول يمثل الإعجاب بشاعره المفضل (Words worth) ثم في قصيدته الرابعة حاول شينا فشينا الوصول بصورة بطيئة الى حقيقة (Words worth)أما في قصيدته الأخيرة يمثل التفرد و يحاول نتيجة خبرته و إدراكه و خصوصيته القومية أن يستقل عن (Words worth) و يوازيه في شاعريته....أي أن الوظائف الشعرية تتفاعل في هذه القصائد من خلال الوظيفة الإنفعالية و الأنتباهية والمرجعية والشعرية (٣٣:٦)

من هنا يمكن القول أن الخطاب السيابي يضم مقصدية مضاعفة من الناحية السيمانية كما نجد في هذا المخطط:

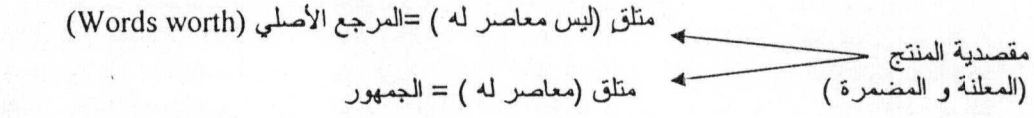

لقد عرف في مجال نظرية التلقي أن المتلقي غالبا ما يكون الجمهور أو القارئ أو السامع وليس النص ،لكن هنا في قصائد السياب اجتمع عنده كفتي المتلقي و هما المرجع الأصلي و الجمهور وهنا يقع إبداع الخطاب السيابي بفعل هذه المقصدية المضاعفة

هناك مجموعة من العوامل الدافعة لإختيار السياب للشاعر (Words worth) في هذه القصائد يمكن أن تكون :

ـ تثبيت رأي أو عاطفة وهو أتحاد رؤية السياب مع(Words worth) في أتجاه المذهب الرومانسي.

ـ إن عناصر المذهب الرومانسي هي بمثابة الرابط المشترك بينهما

ا. الطبيعة (أزهار الدفلي ،جداول ،مياه ،عش ،شط،رياح،.....)

ب. الحزن و الكآبة و الموت (الذبول ،جف ماؤه ،المهجور)

ـ ملء الفجوة و استمرارية التيار الوردز ورثي بعد غيابه في قصائد السياب و كأنه ناب مناب (Words worth)في رسالته و مقصديته الشعرية و هذا ما نجده بوضوح في خطابه الشعري ("أمير شط العرب ")

ـ عوامل سيكولوجية: الحزن الشديد لفقدان شاعره المفضل (Words worth)و محاولة إبراز ذلك في مثل هذه القصائد .

ـ عوامل إنتقالية : وهي إنتقاله الى قسم اللغة الإنكليزية حيث دراسة((Words worth)في هذا القسم بصورة تفصيلية وإعجابه به و بشاعر يته.

ـ عوامل إنفصالية: بفعل الخصوصية القوميةو الحضارية و الذاتية ،حاول السياب الإنفصال عن (Words worth)وذلك تثبيت هويته الشعرية و بيان تمرده عن المرجعية الأصلية كما نجد في القصيدتين الأخيرتين .....

التطبيقات:

في أولى قصائده بعنوان"ذبول أزاهر الدفلي" (١٩٤٤/٦/٧/أبو الخصيب) ،يعلن السياب مدى إعجابه بـ (Words worth) والقصيدة بدأ بعنوان تنطوي على حركية الحزن والكآبة و إتصاله بدليل(الذبول) الذي يرمز إلى خسارة كبيرة أو الموت الواقعي لهذا الشاعر.و يؤكد ذلك أكثر عندما أهدى القصيدة بعد العنوان مباشرة الى روح (Words worth) بمعنى أن العنوان هو عبارة عن مقصدية التثبيت غير المباشر وأن الإهداء هي مقصدية الإعجاب المباشر في البناء الدلالي العميق للقصيدة ....بتعبير آخر أن العنوان هو معنى عام وأن الإهداء هو معنى خاص ،وأن السياب أراد من البداية أن يؤكد للمتلقي بأن المقصدية تدور حول (Words worth) وليس شيئا آخر .وأن هذا العنوان هو كاف لبناء مقصدية القصيدة و أن أبيات القصيدة بكاملها ليست إلا تأكيدا لمقصدية العنوان والإهداء فمثلا البيت الأول هو تعريف بالعنوان إذ أصبحت الأزهار ذابلة بعد أن كانت مليئة بالانتعاش و الجمال :

لذع الأوام أزاهر الدفل
كانت تعير النهر حمرتها
ومن أجل معرفة حقيقة هذا الجمال ،فان الشاعر بعد هذا البيت يدخل في مقصديته و يقول أن الزهرة التي ترمز

فذوت كما يذوي سنا المقل
فيضئ فيه الموج كالشكل
إلى(Wordsworth)كانت شعلة تعكس جمالها و لونها و قوتها في النهر الذي يرمز إلى الحياة و المذهب و الاستمرارية

كانت تعير النهر حلتها

فيسير في وشي من الحلل

أكثر من ذلك فان الشاعر يؤكد بأن الزهرة التي كانت بالأمس تنثر المحبة أصبحت اليوم خامدة بفعل فقدان و ضياع الزمن و هو يمثل الصراع بين الماضي والحاضر ومن هنا ونتيجة ذلك ولدت مقصدية أخرى تحاول ملء الفراغات بين الزمنين وهي علاقة تضمينية

(inclusion) تقوم بين المجموعتين (B,A)عندما يكون كل العناصر التي تتكون منها المجموعة (A) من بين العناصر التي تتألف منها المجموعة (B)(٣٧:٧)

كم زينت بالأمس لبته
والبوم اطفي نورها و خبا

بقلائد المرجان و القبل
فكأنها لم تند أو تمل

أي أن الزهرة في هذه القصيدة هي القاسم المشترك بين ذات السياب و(Words worth)إلى حد أن السياب تقمص شخصية شاعره كما في هذا المخطط:

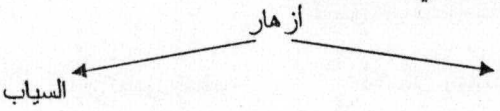

من هنا يمكن أن نسأل سبب اختيار السياب الأزهار كرمز لـ(Words worth) وهو على الأكثر يعود إلى:
أ - أن جمال (Words worth)الشعري يشبه جمال الزهرة في الحيويةوالطموح والكفاح والتأثر (٨ :٢٥٩-٢٦٠)
ب - أن السياب ربما قرأ قصيدة (the Daffodils)لـ(Words worth)التي فيها حزن و رقصة جمالية للزهور وان التشابه بين الحالتين :ـ حالة (Words worth)و السياب - في مخاطبة الزهرة يظهر من خلال الشعور بالوحدة و تشكيل معادلة موضوعية بينهما و بين الزهور و ذلك لتخفيف مشاعرهما و أحاسيسهما .وأن الزهرة في كلتا القصيدتين هي وسيلة لإبراز هوية المقصدية .بمعنى آخر أن (Words worth) تغنى للزهرة من أجل المجاورة بينهما وقد رقصت فيما مضى من أجله و ذبلت فيما بعد ذبوله .....أي أن السياب حاول إنقاذ الموقف إلا أنه لم ينجح لأن هذه الزهرة أساسا هي زهرة (Words worth) فقط:

ولكنت آمل أن أقبلها
أما وقد ذبلت فلا أمل

واعب خمرة حسنهاالثمل
لي باللقاء فكيف بالقبل

وفي القصيدة الثانية بعنوان (العش المهجور) (١٩٤٤/٧/٢٧ـأبو الخصيب) بدأ السياب بالعنوان ،يفتح باب الدلالة الإيحائية وهي ان (العش)بمثابة عالم الشعر ومذهبه ثم أصبح مهجورا و خاليا بانتهاء (worth) .بمعنى أذا كان العش بوجود (Words worth) يعني الحياة والجمال والشعر إلاانه بغيابه أصبح موحشا. وأدق من هذا فان العش في العنوان يدل على غياب الطائر المغرد الذي يغني وينشر الجمال بصوته كما هو شأن (Words worth) الذي يشكل معادلا موضوعيا للطائر الذي كان يغرد و برحيله الواقعي حل الحزن و السكون في عالم الشعر :

كأن العش حين خلا و أقوى
غدير جف غاربه وماتت
كأن قشاشة أوتار عود

و مات به صدى النغم الحنون
أغاني موجه المرح المعين
مكفنة بها جثث اللحون

إن عبارات أوتار عود مكفنة و جثث اللحون هي دلالة على عمق تأثير غياب (Words worth) في عالم الشعر و خاصة عند السياب نرى أنه يعمق هذه الصورة أكثر عندما يأتي إلى الأبيات الأخرى من القصيدة محاولا إيجاد حلول منطقية لهذا الغياب الواقعي ,وهذا مانجده في عملية تحويل الذكريات أو تحويل الماضي المتمثل في السياب و مواصلة مسيرة (Words worth) محل الماضي المتمثل فيه وفي قصائده وهذا يمكن تسميته كما سماه السياب نفسه بأيقاظ الأغاني :

ويطرقه شعاع النجم وهنا وضوء البدر حيناً بعد حين
طروق الذكريات فؤاد صب كثير الشجو منقطع الوتين
وتوقظ في جوانبه الأغاني عذاب الجرس فاتنة الرنين

كل هذا يوحي بأن السياب يشعر بالعزلة والكآبة لأنه أصبح وحيداً و بعيداً عن الأب الروحي (Words worth):

وربة وحشة تأوي إليه إذا أوت الطيور إلى الوكون
ليشبهني فحال مثل حالي وشأن في الغرام حكى شؤوني
إذا الأحلام زرن عيون غيري تزور العبرة الحرى عيوني
وأذكره ليالي ذاهبات فغص من الكآبة بالدجون

وفي القصيدة الثالثة بعنوان"جدول جف ماؤه " (١٩٤٤/٨/١٢_أبوا لخصيب) نجد أن السياب استخدم عنوانا مناسبا لمقتضى الحال وهو أن الشعر الرومانسي بمقاييسه وخصائصه قد انتهى دوره بانتهاء (Words worth)أي أن (Words worth)بمثابة جدول ماء يهز شوق سامعه ــ السياب ــ إلا أن الزمن لم يرحمه كما لم يرحم الأخرين أمثال (أفلاطون و أرسطوو المعري وشكسبير....) على الرغم من أن مثل هذه الأسماء باقية في ذاكرة التاريخ .لتأكيد هذه المقصدية ،فأن الشاعر منذ اللحظة الشعرية الأولى من القصيدة يدخل في صلب الموضوع وهو جفاف المياه بسبب عملية الجزر التي هجرت المدّ وحولت حركية المياه ورقصاتها إلى الصمت والسكون :

المدّ هاجر ذاك الجدول الناني والصمت معتاده من بعد ضوضاء
إلا حفيفا يهز الشوق سامعه إلى ظلال تنير الموج لفاء
يعلو فيعقبه صمت فان سئمت أنغامه الصمت هبّت بعد إغفاء

ويمكن تفسير ذلك بـ : بمثابة حركية الشوق التي تعلو وتهبط كنبضات قلب الشاعر من شدّة التعلق والاتصال .بمعنى آخر اذا كان الماضي المتمثل في عظمة (Words worth) مليء بالخير والجمال والعطاء :

ــ انتهاء الزمن الواقعي لـ (Words worth) وعدم استمرار يته الشعرية.
ــ سيطرة المذهب الواقعي على المذهب الرومانسي.
مع ذلك، هناك، كالسياب من يتعاطف أو لا يزال يؤكد, زمنية (Words worth) وشعر يته وهي

كأنهنّ ظلال الدوح قد نصلت من موجة ضاحكتها الريح زرقاء

إلا أن الزمن قد حوله أو جعله عقيما بلا أنتاج أو قيمة:

فغودرت حين أب الجزر ثاوية تلهو الرياح بها من كل هوجاء

ادق من ذلك اذا كانت الأمواج بمثابة حركية (Words worth)الشعرية التي تعكس جمال المرأة والطبيعة أصبحت الأن واقفة متحيّرة وهي بانتظار حركية أخرى بأمكانها أن تنقذ الموقف من السلب إلى الإيجاب وهذا ما نراه في تعلق السياب به أي أن زملية(Words worth) هي عبارة عن التعلق والوصال والتجاور إلا انه برحيلها حل الفراق بين عالم الشعر و مذهبه وهذا ما أكده

ثالثا : وفقا للقصائد الخمس يمكن أن نبين نوعين من المقصدية :

أ- المقصدية الظاهرية :

- تمجيد (Words worth)
- تأثر السياب بصاحبه من أجل خلق أرضية العملية الانتقالية من الادب القومي الى الادب العالمي

ب - المقصدية العميقة :

- رفع شأن (Words worth) بأنه كان رائدامن رواد الرومانسية
- إزالة شأن (Words worth) بأنه كان شبحا في الحاضر
- حل السياب محل (Words worth) في الحاضر

رابعا: أن علاقة السياب بـ (Words worth) في هذه القصائد هي علاقة الدال بالمدلول إتصالا أم إنفصالا .أي أن السياب في قصائده الثلاث الأولى إستطاع ملء المسافة الثقافية و الزمنية و الشعرية بينه و بين صاحبه .أما في قصيدتيه الأخريين وبطريقة تكنيكية رائعة ،خرج عن المألوف وأحدث كسرا في التوقع و خلق فجوة بين الدال و المدلول وهناك إنفصل عن صاحبه .وهذا يؤكد تعددية المقصديات في مثل هذه القصائد. بمعنى أدق إذا كان المدلول وليد الدال وهما مرتبطان بعضهما ببعض و متساويان و يشتركان في مشروع النص فإن المدلول (السياب) من جانب آخر ينفصل عن الدال (Words worth) و يحدث إستقلالية ذاتية في هذا المشروع .

نستنتج من هذا أن درجةالمسافة بين (Words worth) والقصائد الثلاث هي جيدة التشفير و منظمة و تسير في إتجاه واحد أما القصيدتان الأخريان فإن درجة المسافة هي أكثر إتساعا و غير منظمة و تحاول أن تتجاوز المألوف و الإنفصال عنه و تشكل مقياس قوة المقصدية التي هي ناتجة عن :

أ. المسافة المنطقية

ب. الدرجة المنطقية (٤: ١٦٤-١٦٥)

من هنا يتضح الإبداع السيابي من خلال مسافة التوتر في سلم المألوف و اللامألوف .وهذا لايعني أن إستقلالية السياب تلغي صاحبه و لكنها تترجع إلى مستوى ثاني خلف المعنى المقصدي وهذا ما يكتشف عن مستوى طريق مقياس المقصدية الذي يأتي من خلال الحقل الإستبدالي المشابه بالمجال المغناطسي أو مجال القوى و بدونه يصبح العمل عبثا .

خامسا: أن مقصدية السياب هي ليست فقط إبراز تأثره بـ(Words worth) بل إنه أيضا يريد أن يخاطب المتلقي بأنه يمتلك أرضية شعرية صلبة لاتقل عن (Words worth) أي أن السياب في قصائده الثلاث الأولى يحاول أن يبين إعجابه بصاحبه إلا إنه في قصيدتيه الأخريين يحاول أن يفك أسره و يثبت إستقلاليته الشعرية

المراجع:

١. الأدب والدلالة .ت.تودوروف،ترجمة د.محمد نديم خشفة ،د . ط ،د.ت .
٢. أساليب الشعرية المعاصرة ،صلاح فضل ،دار الآداب بيروت -الطبعة الأولى ١٩٩٥،
٣. بدر شاكر السياب (المجموعة الشعرية الكاملة)الجزء الثاني ،دار المنتظر ٢٠٠٠،
٤. بلاغة الخطاب و علم النص ،صلاح فضل ،عالم المعرفة ،الكويت،١٩٩٢ .
٥. دينامية النص ،محمد مفتاح ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،الطبعة الثانية ١٩٩٠.
٦. قضايا شعرية ،رومان ياكوبسون ،ترجمة محمد الولي و مبارك حنون ،الدار البيضاء ،دار توبقال للنشر ،الطبعة الأولى ،١٩٨٨
٧. اللسانية التوليدية و التحويلية ،عادل فاخوري ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ،الطبعة الثانية ،١٩٨٨.
8. The Golden Treasury, Francis Turner Palgrave, Oxford, Great Britain, 1944.

Words Worth and the Intention of AL.Sayyab Discourse

Dr. Thaher Latif Kareem Dr. Neian Noshiran Foad
College of Languages – Solaymania University

Summary:

This study is an attempt to find the intentional relationships in alsayyabs discourse towards the English romantic poet words worth who was a great representative of the literary trend called romanticism .the aim of it is to declare the influence and admiration of alsayyab by words worth then his attempt to have a distinct path in his career going from his master .this can be noticed within intentionality of the titles which end with power degree of intentionality that is the product through the act of the logic distance and the logic degree of familiar and disfamiliar steps will be clear ..